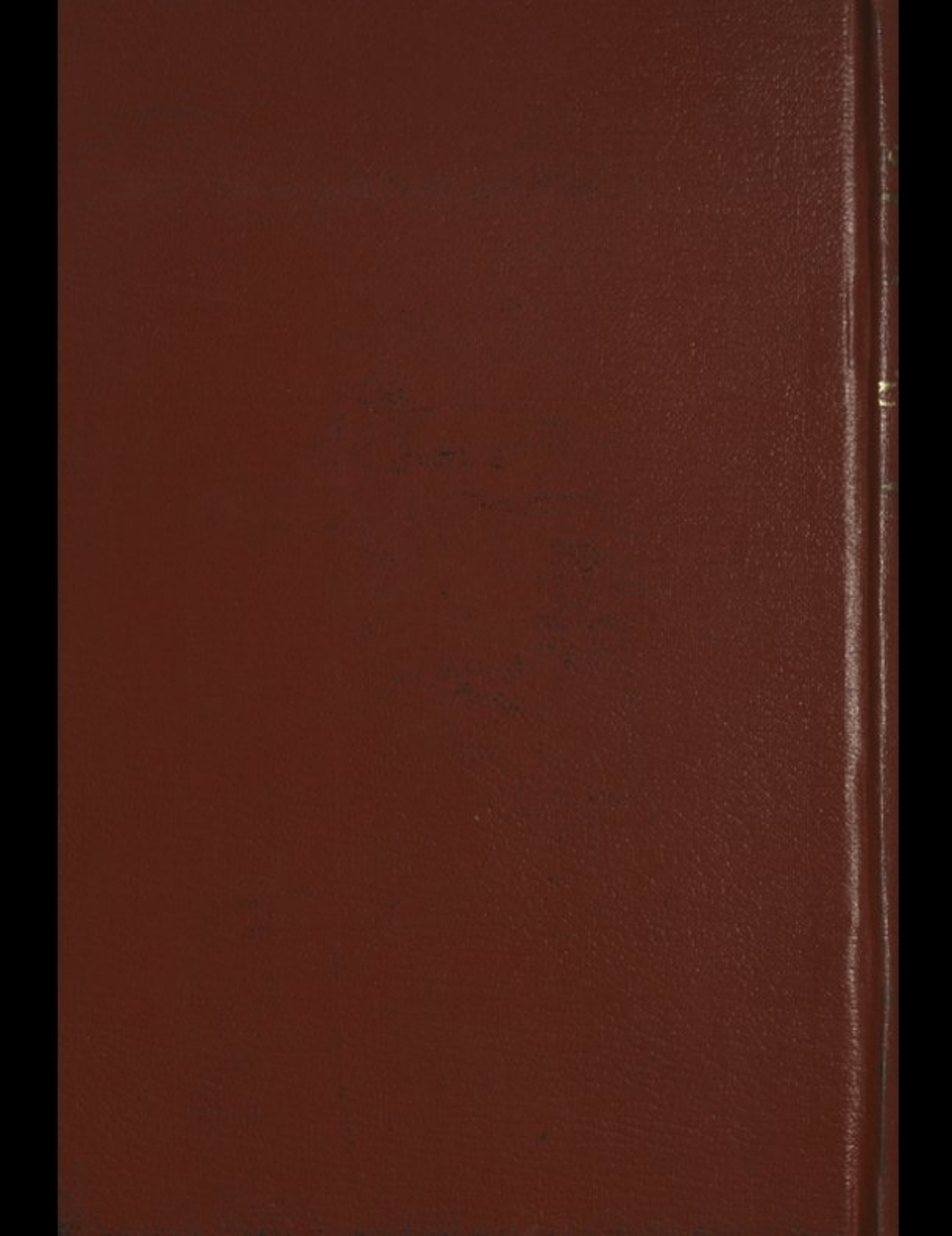


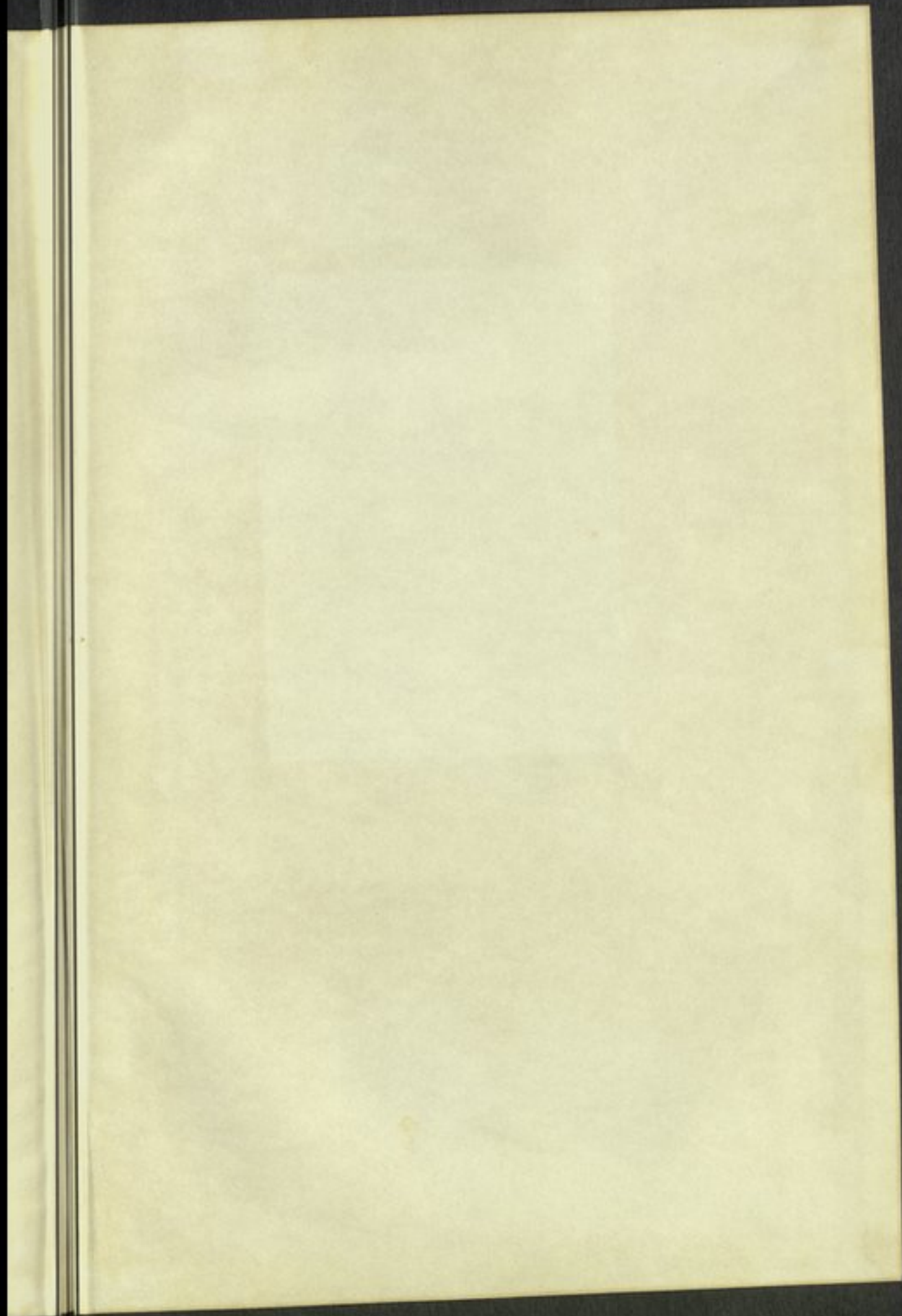


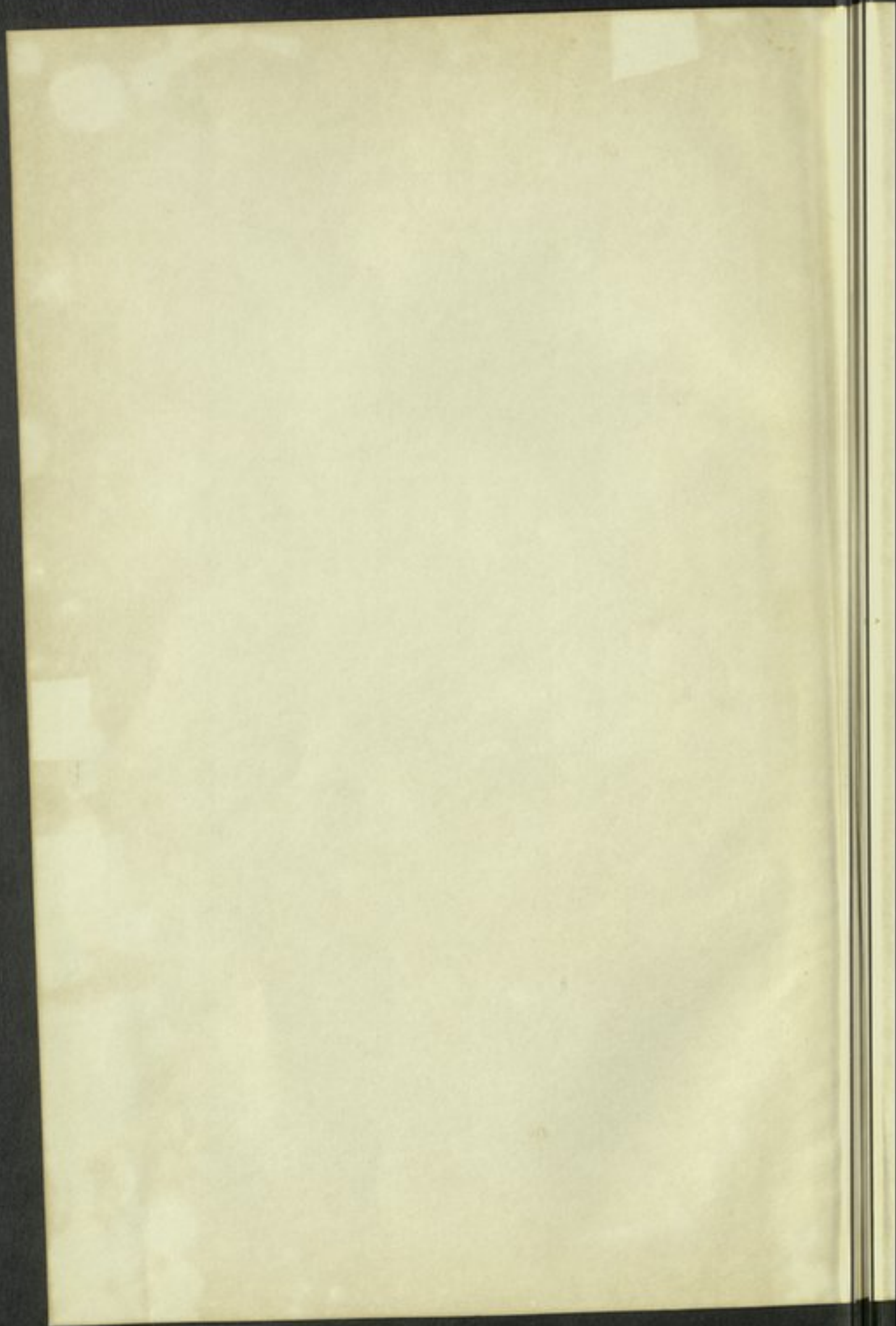
AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

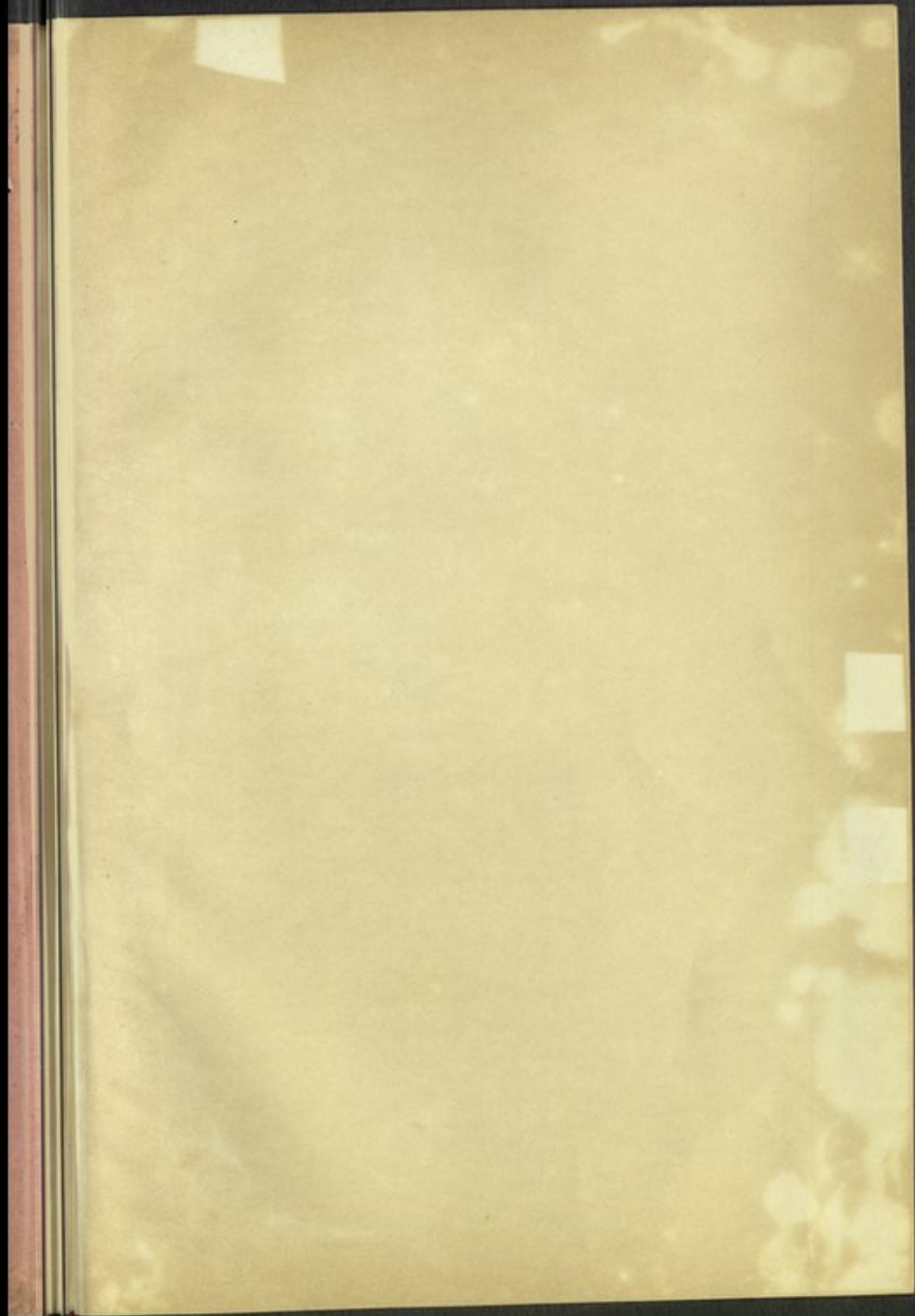




مجلس طابع الدفتر
العدد ١٠٠







محمد العلاف

الدعوة الى الاصلاح

هذه رسالة حورفا الشيخ السيد محمد الكتير بن الحسين
احد المدرسين بالجامعة لانظم جامعي الزيتونة
والمدرس بالمدرسة الصادقية

طبعت على نفقة السيد محمد العروسي بن الحسين بنهج السوادية

(طبع بالمطبعة الرسمية العربية بتونس)

١٣٢٨
—
١٩١٠ م

صفحة	﴿ فهرست ﴾
٥٢	الحاجة الى الدعوة
٥٥	الدعوة في نظر الاسلام
١١	شرائطها
١٦	لاخلاص فيها
١٩	آدابها
٢١	آثار السكوت عنها
٢٠	لاذن في السكوت عنها
٢١	اسباب اهمالها
٢١	ما يدعى الى اصلاحه



29741
B614A

الدعوة الى الاصلاح

(هذه رسالة حررها الشيخ السيد محمد المختار بن الحسين)
احد المدرسين بالجامع لا اعظم جامع الزيتونة
والمدرس بالمدرسة الصادقية

طبعت على نفقة السيد محمد العروسي بن الحسين بنهج السرايية

(طبع بالمطبعة الرسمية العربية بتونس)

١٣٢٨
١٩١٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي رفع من منازل العلماء المرشدين ، واءلى كلمتهم في صدور الامراء المصلحين ، والصلاة والسلام على من قلدنا فرائض هذا الدين وسننه ، ودعانا الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة . ثم الرضا عن آله واصحابه الذين هدوا الى صراطه المستقيم ، ونشروا لواءه السامي بالحجج الباهرة والاسلوب الحكيم . اما بعد فكثيرا ما نرى الباحثين في شان الاسلام يكتبون ويتحاورون في العلل التي سرت الى كرامة فثبطنها عن التقدم في حياتها الاجتماعية ونامت بها في مضاجع الغفلة حتى سبقتها لامم بخطوات واسعة ، ويوردون في نتيجة بحثهم اسبابا شتى اذا تتبعنا تفاصيلها وامعنت في حال ما هو صحيح منها وجدتها نرجع بعجلتها الى التهاون باحكام الشريعة وفتور عزائمهم عن المطالب التي فدبت للمحافظة عليها

ومن التفت ينظر في اسباب تقاعسهم عما ارشد اليه الدين من وجوه لاصلاح ليتلافى خطوبها ويمهد عقباتها سبق اليه في حسابها تقصيرهم في التواصي بالحق وعدم صرف العلماء عنايتهم الى واجب الارشاد

حضر هذا الخطر في صدري فاستشار الهمة واخذ برأس القلم
يستريحه الى الكتابة في غرض الدعوة الى اصلاح لعلمه يبسط في
هذا الموضوع جملا من مطوياته ويملك بتأييد الله زمامه

﴿ الحاجة الى الدعوة ﴾

من حكمة مبدع الكائنات ان اودع في فطرة الانسان قوة
يعقل بها طرق الصلاح والفساد ويفقه بها الحق ليحققه والباطل
ليقطع دابره ولكن العقل وحده لا يستقل بتمييز المعروف من المنكر
وليس في طوقه ان يسير باعمال البشر واحوالهم على نظام لا عوج
فيه فانه وان بلغ في الادراك رشده قد يعزب عنه وجه المصلحة
ولا يهتدي الى عاقبة العمل فربما يمسك عن الامر وهو عمل صالح
فنفوته منفعة او يقتصره وهو عمل سي فيحقق به ضرورة ولا يمتري
ذو بصيرة ان لو يتصدى احد الرجال المشهود لهم بسعة النظر
وصفاء القريحة لانشاء اداب تستنير بها العقول والاخلاق
ونظامات تحفظ بها الحقوق والمعاملات بدون ان يقنصها من
انوار الشرائع او القوانين المستمدة منها لراينا في جملة قضاياها ما
ندرك اخلااله لاول وهلة ونعلم يقينا واضحا ان لو تمسكت به امة
من لام لاخطات سبيل رشادها وسقطت في متلفه وعناء ، وكذلك
اتفق لكثير من كبار الفلاسفة صنعوا في سياسة قومهم قوانين واهية
فعثرت بهم الى درك الهون وبئس القرار ، وامثلتهم مضروبة في
كتب التاريخ قديما وحديثا

واذا شعرت بعض النفوس بسوجه الحكمة فقد يستولى عليها

الكسل او تستحوذ عليها دواعي الهوى فتترك امرا صالحا او قاتبي
عملا منكرا ولا تبالي بما يوقعها فيه الترك او لاقدام من الخسران
والشقاء الطويل

واذا لم يخالط الكسل عظامهم ولم يدخلوا في اسر شهواتهم فقد
يحدث بينهم الخلاف ويطغى بهم النزاع الى الفتن والمغالبة فان
عقولهم غير متساوية في اصابتها لدى البحث عن الحقائق لا بحسب
فطرتها ولا بالنظر الى استعدادها المكتسب من التجارب وترددوا
على العلوم فيستحسن الرجل عين ما يستقبحه غيره بل الرجل
الواحد يرى الامر حسنا في حال فان لم يوافق عرضه في وقت
آخر عده قبيحا . وكثيرا ما يشتمل الشيء في الواقع على وجهي لائم
والمنفعة فيريد بعضهم جلب منفعته فيسعى الى اقامته وتعلق رغبة
اخر بدرء ما فيه من الفساد فيظلمه وربما ينظر للانسان الحادثة
تنزل بغيره فيقتضى عليها هوى ولو عرضت له نفسه وادرك مقدار
تأثيرها كخطر على قلبه انها تستوجب حكومة اشد مما قضى به
اولا او ادنى

ولما كانت البصائر تضعف والاهواء تغلب والعقول تنفاوت
اشتدت حاجة الناس الى مصالح لادبي يبين لهم مواقع الحسن
والقبح في احوال نفوسهم واعمالهم لاختيارية وينقذهم من مضار
الغفلة والهوى ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه فبعث الله الرسل
عليهم السلام بوظيفة التعليم والتذكير والقضاء عند المشاجرة

﴿ الدعوة في نظر الاسلام ﴾

لما كان الخطاب بشريعة الاسلام يتوجه الى سائر الخليقة
احصاج الناسثون بعد زمن النبوة كما افتقر النازلون بمواطن
بعيدة عن مهبطها الى من يتلو عليهم آياتها ويلقنهم آدابها ونصائحها
فالورث الله الذين اوتوا الحكمة ما اوصى به الرسل عليهم السلام
من الدعاء الى ما فيه صلاح في الدين او منفعة في الدنيا قال تعالى
(ولكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن
المنكر اولئك هم المفلحون) فافادت هذه الآية ان الدعوة الى
الخير فريضة لا يسقط واجبها عن رقاب الامة إلا اذا تكفلت
به طائفة منهم حتى اذا ما اعوز القائم بهذه الوظيفة مدد يتزود
به في سبيل هذا المهم او بلغته يسد بها بعض ضروراته تعين على
اولى القدرة مساعدته واثبات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في
قوله تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر وتؤمنون بالله) لا يسويد مذهب القائلين (ان الدعوة
فرض على الاعيان) فان الخطاب بفرض الكفاية يوجه الى سائر
الامة بقصد افهامهم واعلامهم ويكون التكليل والالزام لطائفة
تنفق لامة على تعيينها او تعين نفسها ان شاءت
مدح الله القائمين بوظيفة الارشاد في آيات متعددة ووسم
الذين يخفون الحكمة في صدورهم ويطوون السننهم عن بيانها
بوسم اللعنة الى ان يتوبوا ويتداركوا اصلاح ما اعملوه بسكوتهم عنه
قال تعالى (ان الذين يكتُمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد

ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون (وهذه الآية وان نزلت في وصف فريق من غير المسلمين فحكمها وهو استحقاق اللعن لا يقف عند حدهم بل يتناول كل من اوتي معرفة بآيات الله او قبض قبضة من اثر هدايته فابقاها في صدره وامسك عن تعليمها فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب في وروده . والحق الذي لا يسوغ للعالم كتمانها ما ينبني على العلم به فائدة في صحة اعتقاد او حسن خلق او استقامة عمل فان لم تترتب عليه ثمرة فيما ذكر فلا حرج عليه في احتكاره والسكوت عن بيانه حكى الشيخ ابن عرفة في درس تفسيره انه دخل على شيخه ابن الحباب وجعل ينظر في كتبه فمنعه من استيفاء النظر فيها وقال له للشيخ ان يمتاز عن طلبته بزيادات لا يخبرهم بها

وتناول بعضهم في عهد الصديق قوله تعالى (عليكم انفسكم لا يضركم من صل اذا اهديتكم) على خلاف ما اريد منه فقام رضي الله عنه خطيبا وقال انكم تقرءون هذه الاية (يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم) وتضعونها في غير موضعها وانني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا المشكر ولم ينكروه يوشك ان يعمهم الله بعقاب . وجرى ذلك التأويل في اوهام بعض العامة الى هذا العهد فاذا امرته بمعروف او نهيته عن منكر القى عليك لاية كالمستشهد بها على انك تخطيت حد الادب ورميت بكلامك في رصمة الفضول ومنهم من يتلوها في مساق لاعتذار وتبرئة ساحته من اللائمة متى شهد منكرا ولم يغيرة بقدر ما يستطيع من يد او لسان او مبارحة مكانه التي هي امارة التغير بالقلب .

والمعنى الذي تطابق به لاية غيرها من الايات الآمرة بالدعوة
انكم اذا استقمتم كما امرتم وقمتم بالواجبات التي من جعلتها الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يضركم من اعرض به سواء وجمع
به في واد من الغواية

ومن العناية بسنة الدعوة شرع الخطب ايام الاعياد واجتماعات
وعدها من شعائر الاسلام ليلاحظ الخطيب في اختيار موضوعها لاحوال
الخاصة ويطرق بها ابواب المطالب الكافلة بشرف الامة في
الدنيا وسعادتها في الآخرة وذهل كثير من الخطباء عن هذه الحكمة
فالتزموا لكل شهر خطبا معينة يسودونها سودا من غير التفات الى
ما يقتضيه حال الناس في التعليم او التذكير

ولا تقدر الدعوة الوجبة بعدد او تصبى بقدر من الزمن اذا
قضاء الداعي خرج عن عهدها وانما يعتمد في ابلاغها واستئنافها مرة
بعد اخرى على رجاء تأثيرها وحصول المقصود منها ، ونزع من هنا
الى ان الصواب مع عمر بن الخطاب حين قال النبي صلى الله
عليه وسلم في حال وجعه (ايتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لا تضلوا
بعده) وقال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع وعندنا
كتاب الله حسينا ، فلولم يستصوب صلى الله عليه وسلم رأي عمر
لعاد الى امرهم بذلك فقد عاش بعد هذا المجلس اياما

واذا دعا العالم طائفة الى اصلاح شأن من شئونهم فعتوا عن
امره واستكبروا عن اجابته حتى ايس من انابته واعتقد بعدم الفائدة
من تذكيرهم خلاصت ذمته من امانتها ولا جناح عليه ان يقف
عند هذه الغاية ، وحمل بعض المفسرين على هذه الحالة مفهوم

الشرط في قوله تعالى (فذكر ان نفعت الذكرى) ولا يتحقق
الداعي بعدم نفع الذكرى وصيانتها كصحة في فلات إلا اذا وجه
بخطابها الى قوم معينين مرة بعد اخرى حتى عجم عبادانهم واطلع
على ما التفت عليه نفوسهم من التقليد في الباطل ونبت الحقيقة في
اي صورة ظهرت ، اما من دابة النصيحة العامة كخطباء المنابر
وارباب الصحف فلا يحق لهم ان يهجروا الموقظة في امر وان
شهدوا قلة تأثيرها في قوم باعياهم فما يدر بهم ان تصادف بعض
النفوس المطبوعة على حب الخير فتمسك بداعيها وتقودها الى سواء
السييل قال تعالى (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) ولطالما بلونا
الناس فالغيناهم يستخفون بالامر تلقى له الخطبة او تولف فيه
المقالة المفردة فاذا تنابع التوغييب فيه او التحذير منه ولو من المرشد
الواحد تربى في قلوبهم لاهتمام بشانه ونهض بهم العزم الى العمل
به او لاقلاع عنه

لا يقرر الداعي في نصحه لقومه وتذكيرهم بالعواقب على الواحدة
ونحوها ولا يتخذ شغلا يستمر عليه في سائر احواله حتى يبرهم ،
روى البخاري في صحيحه ان عبد الله بن مسعود كان يذكر
الناس في كل خميس فقال له رجل يا ابا عبد الرحمن لو ددت
انك تذكرنا كل يوم فقال اما انه يمنعني من ذلك اني املككم وانني
اتخولكم (اتعهدكم) بالموقظة كما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يتخولنا فيها مخافة السامة علينا

وتؤكد المبادرة الى النصيحة فيما تفوت المصلحة بتأخير الدعوة
اليه ويشعر بهذا قوله تعالى (وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى

قال يا قوم انبعوا المرسلين (وقوله تعالى) وجاء رجل من اقصى
 المدينة يسعى قال يا موسى ان الملا ياتمون بك ليقتلوك فاخرج
 اني لك من الناصحين (فقوله (من اقصى المدينة) اعلام بعنايته
 وكمال رغبته في بذل النصيحة حيث لم يشطه بعد المسافة عن
 السعي اليها والوفاء بحقتها وقوله (يسعى) تذكير لدعاة الاملاح وايضا
 لهم كي ينفقوا في هذه الغاية وسعيهم ويسارعوا الى النصيحة جهدهم
 لان السعي في لسان العرب يطلق بمعنى العدو والمشي بسرعة . وما
 يقوله بعض اهل العلم من جواز السكوت عن العلم الى ان يسأل عنه
 فيحمل على المسائل التي لم تدع الحاجة الى معرفتها في الوقت الحاضر
 حكى القاضي عياض في كتاب المدارك ان سحنون وصاحبيه عون بن
 يوسف وابن رشيد دخلوا على اسد بن الفرات فسألهم عن مسألة
 فابتدر بجوابه صاحب سحنون وسكت سحنون فلما خرجوا قال له
 صاحبه لم لم تتكلم فقال سحنون ظهر لي ان جوابكما خطأ وبين لهما
 ذلك فقالا له لم لم تتكلم بهذا ونحن عنده فقال خشيت ان
 ندخل عليه ونحن اصدقاء ونخرج ونحن اعداء قال القاضي
 وسكت سحنون حين علم ان القضية لا يفوت امرها ولو علم ذلك
 لبادر بما ظهر له لا يذكر ان قيام الواحد بهذه الفريضة كاف
 واستشهدوا بقوله تعالى (فليؤلفوا نفر من كل فرقة منهم طائفة
 ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) قالوا لان
 الطائفة في لسان العرب الواحد فما فوقه . ولكن اعدد القوائم
 بالدعوة وتظاهروا عليها وقع في النفوس المختلفة المشارب وتأثير
 لا يحصل بدعاء الفرد وان كان عظيما ولهذه المزية سال موسى

تعدد الدعاة في الدعاة

عليه السلام مشاركة اخيه هرون له في الرسالة حين قال
 (واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه
 في امري) ومن شواهد هذا ان عيسى عليه السلام بعث الى اهل
 انطاكية برجلين اثنين ليدعواهم الى الايمان فقابلوهما بعناد
 وتكذيب فاضاف اليهما ثالثا يويد بعثتهما قال تعالى (واضرب لهم
 مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين
 فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انما اليكم مرسلون) ويعتبر في تعدد
 الدعاة حال لامة في سهولة مقادها واستعدادها لتلقي الارشادات
 كما يراعى ما تتعلق به الدعوة من المطالب فيكفي في هداية
 النفوس المطاطئة لسلطة الدين ما لا يكفي في ارشاد المارقين
 واهل البدع ويغنى في تعليم الاحكام العملية ما لا يغنى في اصلاح
 العقائد وتقرير اصول الايمان

وانما تفيد كثرة الدعاة عند اتحادهم وتعاضدهم على النظر في
 المصالح ونصرة الحقيقة في نفسها وبذلك اوصى النبي صلى الله عليه
 وسلم ابا موسى ومعاذ بن جبل حين بعثهما الى اليمن قال لهما يسرا ولا
 تعسرا وبشرا ولا تنثرا وتطوعا . ويشعر بهذا الشرط التعبير عن الدعاة
 باسم لامة دون القوم في قوله تعالى (ولتكن منكم امة يدعون الى
 الخير) الآية قال القفال لامة القوم المجتمعون على الشيء الواحد
 يقتضي بعضهم ببعض مأخوذ من الائتنام . وهو الوجه في اشارة
 التعبير به ايضا في قوله تعالى (ومن قوم موسى امة يهدون بالحق
 وبه يعدلون) فان لفظ القوم يطلق في مجاري الاستعمال على
 عدد اقل مما يطلق عليه لفظ لامة وهو من هاته الجهة انسب

بدعاة لإصلاح لقلة عددكم ولفظ لامة اليق بسائر الافراد لكثرتهم
ولكنه اختير للدعاة اسم لامة لان اشعاره بمعنى الانحداد اقوى مما
يشعر به لفظ القوم

ويجزي في ابلاغ النصيحة وتحوير الذمة من واجبه ان يوديعها
العالم بوسيلة الكتابة فقد ارسل النبي صلى الله عليه وسلم بكتب
يدعو فيها بعض الملوك الى الاسلام وبعث سليمان عليه السلام بكتاب
الى ملكة سبا وقومها حين بلغه انها وقومها يسجدون للشمس من
دون الله

وفي الدعوة بالكتابة فائدة البعد عن ساحة السفهاء والتخاص من
ان يواجهوه بالسخرية ولاذى ور بما كانت اوقع اثرا وبعث على
القبول اذا كان الداعي منشئا وله المقدرة على تاليف الكلم
واخراجها في اسلوب باهر وفصاحة يقتصر دونها النطق باللسان

﴿ شرائطها ﴾

اطاق الاسلام في امر الدعوة فاعطى لكل مكلف الحق في الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر لا فرق بين شريف ووضيع حتى
اذن لادنى الناس منزلة ان يصعد الى مقام الامير الاعلى ويجادوه
بطلب لاصلاح ولا يستقل بهذا الواجب ارباب الولايات فقد
كان آحاد الرعية في عهد السلف يامرون الولاة وينهونهم روى
البخاري في صحيحه عن طارق بن شهاب قال اول من بدا
بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان فقام اليه رجل فقال الصلاة
قبل الخطبة فقال قد ترك ما هنالك قال ابو سعيد اخذني اما هذا

فقد قضى ما عليه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 (من رأى منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع
 فبقلبه وذلك اضعف الايمان) اي اقل ثمرة . وجاء في حديث
 آخر روى في الصحيح ايضا ان اباسعيد هو الذي جذب بيد
 مروان حين رآه يصعد المشرف عليه مروان بمثل ما رد به على
 ذلك الرجل . ولعلهما قضيتان كما قال شارحوا الحديث احدهما
 وقعت لابي سعيد والاخرى كانت من الرجل بحضرته ويضارع
 هذا ما روى مسلم في صحيحه عن كعب بن عجرة قال دخل
 المسجد وعبد الرحمن بن ام الحكم يخطب قاعدا فقال انظروا
 الى هذا الكهيب يخطب قاعدا وقد قال الله تعالى (واذا راوا تجارة
 او لهوا انفسوا اليها وتركوك قائما) . واعتبر في هذا المساق بقوله
 تعالى (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) وقوله تعالى (كانوا
 لا يتناهون عن منكر فعلوه) فالتعبير بصيغة التفاعل في قوله (تواصوا)
 وقوله (لا يتناهون) يدل على تبادل الوصاية والتناوب في النهي
 ويشير الى ان الشخص الذي يؤمر بحق او ينهى عن منكر لا
 يصعد به شرفه ويتعالى به عن طاعة ذلك المأمور نفسه والتأديب
 بعظاته اذا دعاه الى صالح او النزوع عن باطل . وابتنى على هذا
 اطلاق الفقهاء لاحد الخصوم ان يخاطب القاضي بنحو اتق الله
 واذكر الله ولم يعدوه من اللز بقلته التقوى . ولو اجري عليه حكم
 الجفاء الذي يستحق به اللادب او التعزير لانتخذه الحاكم المستبد
 ذريعة الى كث الرعية وسد افواههم عن احتضاره النصيحة واستلقات
 نظره الى صالح الاعمال

انما يعتمد في شرط المصلح على صفة العلم بان يكون على بينة
من حكم ما يامر به او ينهي عنه ، تلك المزية الموما اليها بقوله تعالى
(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقوله تعالى
(ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني)

والناس في ادراك الحقائق طبقات

منهم من يشعر بوجه الحق فيستولي عليه نظرا وعلما ويمكنه ان
يضع العلامات الدالة عليه بالصراحة ليهتدي بها المقتدون على
اثره ، ولا تبعث امة من مرقدتها وتمتطي غارب عزها إلا اذا نبئت
فيها نابتة من اهل هاته الطبقة

ومنهم من لم يبلغ في قوة الشعور وسرعة الخاطر الى ان ينتبه الى
جهة الحق بوجدانه ولو ترك بحاله وخلي ونفسه لتمادي في
جهالة واستمر على غواية ولكنه يحس بالكلمة تشير الى موضعه
فيرمي ببصره اليه وينهض الى نصب الدلائل الموصلة الى معرفته
وبعضهم لا يشعر بالحق من تلقاء نفسه ولا يتمكن من اقامة
الشواهد عليه لو افانته بجهته فيفتقر الى ان تاخذ بيده وتقوده الى
ان يرى شخصه راي العين إلا انه انطوى على ذوق صحيح
وفكرة سليمة فلا يمكنك بعد ان يفقه الرشد ويستقر فواده على
معرفته ان تنتزع منه وتغرس في مكانه ضلالا

ومن الناس من يتبع الدعاة ويلقى زمامه بايديهم فيقلدونه
من الواجبات ما يريدون بدون ان يكلفهم الدليل على صحة
قضية او بيان الوجه في حسن عمل وانما يعتمد في الاقتداء بهم
على اوصاف كمال يشاهدها او تبلغه عنهم برواية من يثق به كالجد

في الطاعة والزهد في لذائذ الحياة وكثرة الاتباع من العلماء الى غير ذلك من الاحوال التي يجري في الاعتقاد انها لا تنفك عن الحكمة في القول واصابة الرأي ، ولو يرجع مرشد اهل هاتمة الطبقة عما نذبتهم له من الاعمال واودعه لديهم من التعاليم لنفضوا ايديهم واعتقاداتهم منها وانقلبوا معه الى تقليد مذهبه الجديد

ولا اجمع في شمل هؤلاء طائفة يستندون في اتباعهم الى خصائص في قدوتهم لا تستلزم الرشد في النظر ولا تستدعي ان يكون صاحبها على هدى مثل فصاحة المنطق وشرف النسب وصباحة الوجه وسعة الرزق والتحامه بعشيرة او اعتضاده بحامية

ولا يتفرد بواجب الدعوة اهل الطبقة العالية وما يقرب منها فان من الحق ما يكون واضحا بنفسه او بدليل متواتر بحيث لا يتأتى فيه نزاع ولا يحتاج لامرفيه الى تقرير حجة او ازالة شبهة كفريضة الصلاة وفضيلة العدل ومثل هذا انما يهمله مستطيع القيام به لآفة سهو او داعية هوى فيحق لكل مسلم وان كان من اهل الطبقة السفلى ان يذكر فيه غيره ويوسيه بحفظه وان كان من اهل الطبقة العليا . واما ما لا تدركه العامة من الحقائق ويضطرب الداعي في بيانه الى نصب الدلائل ومصارعة الشبه فانما يقوم بالدعوة اليه العارفون بأسرار القضايا النظرية القادرون على تحرير مباحثها وحسن التصرف في سياق ادلتها

وزاد بعضهم في وصف الداعي ان يكون صاحبها في نفسه مستقيما في سيرته وهو شرط صحيح بالنظر الى انتفاع الناس بارشاده وانقيادهم لاوامره فانهم على ما نرى ونسمع لا يتأثرون بموعظة مرشد ولا

يقتدون بمقالته إلا إذا حسنت عقيدتهم بامانته وابعصروا حالته
 الظاهرة تنطبق على رسم نصيحته كالمثال يضرب به لبيان القاعدة
 وقد تبرأ شعيب عليه السلام من قصده الى مخالفة قومه وارتكاب
 ما حذرهم منه بقوله (وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه)
 وجاء في كثير من الآيات المسوقة في شرف الدعوة ذكر صلاح
 الداعي في نفسه واستقامته في عمله قال تعالى (ومن احسن قولا
 ممن دعا الى الله وعمل صالحا) وقال تعالى (هل يستوي هو ومن
 يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم) وفي ذلك الكتاب ما فيه
 تقرير وتعجب من حال الذي يتلو الموعظة ويسط لسانه بالامر
 بالمعروف وهو تارك للعمل به فاحية قال تعالى (اقامرون الناس
 بالبروتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون) وفي هذه
 الآية دلالة على ان من ارشد غيره الى صالح وهو ماسك يده عن فعله
 او حذره من مفسدة وهو لا يغادر موضعها فقد خالف مقتضى
 الحكمة ودخل في وصف الذين لا يعقلون

ويضيف آخرون الى شرط النهي عن المنكر اجماع العلماء على
 انكاره ويجعل للمصلح فسحة في السكوت مما جرى فيه خلاف
 بين اهل العلم وكثيرا ما ينقلونه في موضع الاعتراض والتخطئة لمن
 يصدع بالنهي عن امر هو عند المحققين بدعة او عمل غير صالح .
 كلا ان اخذ هذا الشرط على اطلاقه غير سديد فان من الاقوال ما
 ينزل به الضعف الى مكان سافل فلا يحسن السكوت عنه وابقاء
 الرجل قابضا بعروته المنفصلة كلقابض على حبال القمر لا ترفعه
 الى صفوف الفائزين ولا تخطو به خطوة في سبيل النجاة ولهذا

✓ اوجب جماعة من الفقهاء الحد في بعض المنكرات ولو على من عمد
لفعلها تقليدا للقائل باباحتها حيث انحط في مدركه وضعف الى
حد لا يثق به من له ادنى فهم في دلائل الشريعة

﴿ الاخلاص فيها ﴾

✓ الغاية من الدعوة حفظ العالم وانتظام شئونه على منهج قويم ،
فاذا وجه الداعي قصده الى هذا الغرض ووضعه نصب عينه دائما
ثبت على مبدئه واطرد في خدمته على سيرة عادلة ، واذا اخطاه
ولو قيد انملة رايته يضطرب في حال دعوته كالريشة تحفق بها
الرياح اينما تصرف ، وقد رفع شعيب عليه السلام نفسه ونزهها
ان توم غرضا من الدعوة سوى لاصلاح فقال (ان اريد إلا لاصلاح
ما استطعت وما توفيقي إلا بالله) ويرشدنا قوله تعالى (قل لا
اسالكم عليه اجرا ان اجري إلا على الله) وقوله تعالى (اتبعوا من
لا يسالكم اجرا وهم مهتدون) الى ان استشراف الداعي لما في
ايدي القوم وطموح نفسه الى جزاء ياخذ في جانب ارشادهم مما
يقدر في صدقه ويدخل الريبة في اخلاصه

لا يبلغ الداعي مقام لاخلاص إلا اذا بلغ به حب العمل
الصالح والقول الصالح الى ان ينزعج لروية الفساد وسماع الباطل
كما يفرغ اذا فاجأته رزية في ماله او ولده

ولا يدخل في زمرة المصلحين حقيقة من يظهر بدعوى الانتصار
للعادلة ويشهر البغضاء لمن يروم العبث بكوامنها ثم يصير مرساة
✓ اخرى قوما يعمدون لبعض الحقوقي فيقتلون عنقه ويوارونه

خوف الفضيحة فيتبسم لصنيعهم تبسم المستبشر ويساعدهم على دفنهم
ولو بحثية من تراب

ماذا حملته على حب العمل بالحق والانصرار له أولا؟ ثم ماذا
بعثه على خذلانه والارتياح لزهاق روحه ثانيا؟ هو ان اقامته
الحق في الاولى تعود عليه بمنفعة ، واطفاء نوره في المرة الاخرى
لا يذهب له بحفظ من لذائذه العاجلة !

ومن الناس من يضمن في نفسه لبانة لا تقاها يده إلا بمساعدة قومه
فينصب اسم لاصلاح شواكا لاستعفافهم والتفافهم حوله فاذا ضحك
لاقبال في وجهه وحران قطاف امنيته اقلع من معاضدة العدل
وعرى افراس الدعوة ورواحلها

ولما تهافت كثير من اصحاب الضمان المعتلة على منصب
لاصلاح واجتهدوا في كتم اسرارهم بغاية ما يستطيعون اخذ الناس
بالاحتراس ممن ينتهز بهم لهم في زي مرشد ابلغ من محاذرتهم
للمجاهر بارادة العنت والاعتساف ، فاحذر العشيبة اذا برز لهم في
شعار ناصح امين انخذع لظاهر اقواله اهل الغباوة والتبس حاله على
كثير من اهل النباهة فيجد سبلا مفتوحة ونفوسا متهيأة لقبول ما
ينثته في زخرف كلامه ويصنعه تحت اسم لاصلاح من لاغراض
السيئة فيكون كيدته اقرب مصابا وانفذ رمية من خطر المبارز لهم
بالعداوة والشقاق فان من يكشف لهم عن بطاقة صدره لا يجري في
خاطره ان يرميهم بمكائدة تحت غطاء السر ولو رماهم بها لوجدوا
من شعورهم بطويته ما يجعلهم على اساءة الظن به ويحوسهم من
الوقوع في حباله

اما العداة فقد اركت ظنوفهم واقصد بسوء ظنونك لالاخوانا
 والتميز بين من اجمعهم حمة على الاصلاح صادقاً ومن ليس
 قيمة عارية لدنيا يصيبها او واجهة يتباهى بها انما تهدي اليه
 الفراسة المهدبة والقياس الصحيح
 واذا ابصرنا رجلاً ذا يسار ولم يظهر في طبيعته حرص على نماء ما
 بين يديه من المال او قام يدعوا قوما ليس من ذابهم بسط اكفهم
 بصلة الدعاة فما كان ينبغي لنا ان نرميه بظن الاحتيال على
 مشاركتهم في ثرائهم واصطياد ما في خزائهم من زينة الحياة
 ويدلك على سلامة ضميره من طلب السيادة واتساع الكفاية
 ان ينشأ في بيت فاضل ويحوز في الشرف منزلة عالية فيقوم
 وهو يشعر بان مجاراته لقومه وارحاء الكفن عما يشاهد من عليه من
 العوج يزیده مكانة عند عامتهم ويرفعه في اعتبارهم درجة فيضرب
 عن مداجاتهم ويقارعهم بالحجة وعرض شمس الحقيقة على ابصارهم
 وهم لها كارهون
 وينبئنا بسيرة الخالصة ان ينادي قومه للاصلاح سنين
 متطاولة ويتمادي في سعيه الكثيث الى آخر رمق من حياته
 بدون ان تغل عزيمته بالتوائهم عن اجابته ومقابلتهم لصنيعه
 بالكفران اذ الشان فيمن انطوت نيتة على غرض ان يعمل الوسيلة
 لتحصيله ثم ينتظر ما ذا يترتب عليها من النتيجة فاذا بطان نجاحها
 ولاحت له امارات الكيسة والاحفاق قصر المسافة وصرف
 وجهته الى وسيلة اخرى
 والذي يواصل سعيه وينشق معظم حياته في الدعوة وان

وصفناه بسلامة النية وإرادة الخير لقومه لا نفعته باسم المصلح
إلا إذا اعتدلت افكاره وصحت تعاليمه فمن الدعاة من تطيب
سريته ويخلص في قصده ولكن يخونه قلة بضاعته في حفظ نصوص
الشريعة أو اختلال فهمه في التطبيق

﴿ آدابها ﴾

ان رددع الناس عن الدخول في شعاب الباطل والبلوغ بهم
الى مكان السعادة مركب عسير ومسلك وعرا لا يعرفه على استقامة
إلا من بلغ الامد في جودة الفكر وسعة البيان لينظر في دعائه الى
ما يوافق اذواق الامم وياخذ بامثالهم من الحكم البالغة
والوجه الموثرة

يتخير الداعي حجة تبلغ بقوتها الى ان تفيد يقينا لا ريب
فيه او ظنا غالبا وقناعة في النفس قال تعالى (ادع الى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) فالمراد من
الحكمة الحجة المفيدة للقيمين ، ومن الموعظة الحسنة الامارات
الظنية والدلائل الاقناعية ، ومن المجادلة بالتي هي احسن
الدليل المولف من مقدمات مسلمة عند المنازع ، وفصل الغزالي
في كتاب الاقصاد هذه الانواع من الحجج وقسم المخاطبين الى
ثلاثة طبقات وعين لكل طبقة نوعا قال والبرهان يخاطب به
الاذكياء والخطابة يخاطب بها العوام لانهم لا يفهمون البرهان
والجدل لا يخاطب به إلا المعاندون في الاعتقاد لانهم لا يرجعون
عن مذهبهم بالموعظة ، ولم يرض الشيخ ابن تيمية تفسير الآية

بهذه الطرق المنطقية وقال في رسالته معراج الوصول بل الحكمة
هي معرفة الحق والعمل به فالغلوب التي لها فهم وقصد تدعى
بالحكمة فيمن لها الحق علما وعملا فتبلغه وتعمل به واخرون
يعترفون بالحق لكن لهم ادواء تصدهم عن اتباعه فهؤلاء يدعون
بالموعظة الحسننة المشتملة على الترهيب في الحق والترهيب من
الباطل والدعوة بهذين الطريقتين ممن قبل الحق ، ومن لم يقبله
فانه يجادل بالتي هي احسن ثم قال والقول لا يحتاج في مجادلته
بمقدمة لمجرد تسليم الخصم لها كما هي الطريقة الجدلية عند اهل
المنطق وغيرهم بل بالتصايا والمقدمات التي تسلمها الناس وهي
برهانية وان كان بعضهم يسلمها وبعضهم ينزع فيها ذكر الدليل
على صحتها

✓ ومن ادب الدعوة الرفق في القول وتجنب الغلظة والكلمة
الجبائية فان الخطاب اللين ينزل بالنفوس النافرة ويجذبها الى
الرشد والاصغاء الى الموعظة قال تعالى (اذهبوا الى قومكم اذنيهم
فقلوا له فولا لنا لعلهم يتذكروا يخشى) ويندرج في سلك هذا
صرف الاذكار الى غير معين كقوله صلى الله عليه وسلم في التكبير على
اهل بيوتهم معروفون عنده بايمانهم (ما بال رجال يشترطون شروطا
ليست في كتاب الله) وقوله صلى الله عليه وسلم (ما بال اقوام
يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية)
وشكى اليه رجل من معاذ بن جبل حين كان يطيل بهم الصلاة
فاشد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يترك عادته
الجميلة ويخاطب معاذ ا على التعيين بل عم في الموعظة وقال

(ايها الناس انكم منفرون فمن صلى بالناس فليخفف فان فيهم
المريض والضعيف وذا الحاجة)

ومن امثلة هذا الادب توجيه الانكار الى نفسه وهو يعني
السامع كقوله تعالى فيما يقصه عن رجل يقال له حبيب النجار
(وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون ان يردن الرحمن بضر
لا تغن عني شفاعةهم شيئا ولا ينجذون اني اذا لقي ضلال مبين)
فانه اراد بهذه المقالة تقريع المخاطبين على الاعراض عن عبادة
خالقهم والعكوف على عبادة غيره فاورده في صورة الانكار على نفسه
تلطفاً في الخطاب واظهاراً للخلوص في النصيحة حيث اختار لهم
ما يخشاه لعقيدته

ومنها ان ينزل نفسه منزلة السائل المتطلب للحقيقة ويقيم
الحجة في معرض الاسترشاد حتى تلج في فهم المخاطب قبل ان يشعر
بمراده فيتعاصى عن الاصغاء اليه كما فعل ابراهيم عليه السلام في حاجة
قومه المشار اليها بقوله تعالى (اذ قال ابراهيم لابيهِ وقومه ما تعبدون
قالوا زهدوا صنما فنظّل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون
او ينفعونكم او يضرون) وقال تعالى في تعليم رسوله كيف يناظر في
الحق (قل الله وان اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين) فان الداعي
اذا لم يظهر انه على بينة من امره والقي الكلام بصورة التردد في
جهة الهدى فقد جعل نفسه كالمتسعين براى المخاطب في البحث
عما هو صواب وهدى فتدخل في قلبه عقدة التعصب وربما طمع في
استمالة الداعي وانضمامه اليه في المذهب فيقبل على النظر
بامعان حتى يمر به الداعي على الدلائل الكاشفة عن الحق الصادق

ومما يسلكه الواقف من التلطف ان ينادي المدعو بلقب شريف
وينعته بوصف من شأنه يبعث المتلبس به على الانصاف في
المجادلة او الطاعة في الامر كما قال تعالى (يا اهل الكتاب) (يا ايها
الذين آمنوا) (يا ولي اللباب) (يا ولي الابصار) ويتأكد مثل هذا
في موعظة الصغير للكبير والمرءوس لرئيسه وقد يفتح بعض المتأدبين
بكلمة ائذن لي قال ابن شريح لعمر بن سعد وهو يبعث البعوث
الى مكة ائذن لي ايها الامير احدثك قولاً وروى له قوله صلى
الله عليه وسلم (ان الله حرم مكة ولم يحرمها الناس) فقال له عمرو
ابن سعد نحن اعلم بحرمتها منك فقال له ابن شريح اني كنت
شاهداً وكنت غائباً وقد امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يبلغ شاهدنا غائبنا وقد ابغضت فانت وشانك

ويأخذ بعضهم في الانكار على من يراه مبطلاً نهج الفضايلة في
القول فيرميه باللعن والشتائم بقصد الخط من مكانه وابعاد القلوب
من الميل اليه ولا يدري ان اعتراض الآراء بذي صاحبها وهجانه
مما يلقي بينهما بذور الشقاق الذي نهينا عنه ويبعث المخالف
على التعصب لمذهبه والعناد في صحته

وقد وقع في شعور الناس اليوم ان طريقة السباب في المجادلة
انما يسلكها العاجز من اقامة الحجج الدامغة فتوى المقالة التي
تحرر بسعة صدر وادب مع المخالف اشد تائيداً من المقالات
التي يخالطها السفه والحماقة ، وكذلك تجد من كان على يقين
من صحة مذهبه مطمئن الخاطر آمناً عليه من السقوط الى مصرع
الباطل فينطق عن اناة واختيار للاقوال الصائبة بخلاف من لم

يكن على بصيرة من رايه فانه ينزعج عند المجادلة ويطيش به
 الجزع الى ان يقدف بالسباب ويلفظ بالكلام من قبل ان يقيم
 له وزنا

فان لم ينجح الخطاب برفق وتعاذى المفسد على حاله السيئة
 ترقى المصلح في رده واقلاء عنها الى ما هو اشد اثرا من قول
 اويد على سبيل الترتيب فان من الجهلة من لا يكف عن المناكر
 طوعا ولا يتحول عنها إلا بسلطة قاهرة فلا يترك سائبا كالبهيمة
 ترعى به شهواته حيث اصاب بل يقبض على شكيمته ويحال
 بينه وبين ما يتلبس به من الفساد ومن خشي من تغييره بالقوة
 فتنة قتال او اشهار سلاح رفع القضية الى اولى الامر

ويجري في سلك هذا ان يناجيه بالنصيحة سرا ابقاء للستر
 عليه وجلبا لتقياده فكثير من الناس من اذا دعي في علن ولم يدع
 من وراء ستار اخذته العزة وثنى عطفه عن الاستماع او الامثال
 فاذا تصامم عن قبولها في حال اخلوة القيت عليه جبهة لعل الاعلان
 بحاله في بعض المجامع يرده عن جماحه ويكسر من طغيانه خوف
 انتشار الفضيحة وسوء السمعة قال تعالى في قصة نوح عليه السلام
 (قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا) الى ان قال (ثم اني دعوتهم
 جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا) ومن حكمة الجمع
 بين الاعلان والاسرار ازالة ما يقع في ضمير المدعو من تهمة الداعي
 بانه ما اراد من الدعوة علانية إلا التشويد بعرضه ومجرد الفضيحة له
 ومن النافع ان يكون الدعاء الى المطالب العظيمة بطريق
 الترهل كان يتندي المصلح بما هو ايسر عملا واقرب الى معتاد الامة

او اظهر حكمة لعقولهم وعلى هذه القاعدة وضع الاسلام سياسته مثل
 ان امر بالصلاة وسكت لهم من الكلام فيها ثم حرمه وامرهم بالانفاق
 على وجه التطوع ثم شرع لهم عقوب ذلك فريضة الزكاة . ونبيهم
 الى مفسدة الخمر بقوله (ويسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم
 كبير ومنافع للناس) ثم منعها منهم في حال الصلاة خاصة بقوله
 لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى (وبعد هذا حرمه جملة فقال
 يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر الآيسة . وروى من بعض
 الصحابة انه قال لو جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا
 الدين وبالقُرآن دفعة لثقلت هذه التكالييف علينا فما كنا ندخل
 في الاسلام ولكننا دعانا الى كلمة واحدة فلما قبلناها وعرفنا حلاوة
 الايمان قبلنا ما وراء كلمة بعد كلمة على سبيل الرفق الى ان تم
 الدين وكملت الشريعة . ويحكى عن عمر بن عبد العزيز ان ابنه
 عبد الملك قال له مالك لا تنفذ الامور فوالله لا ابالي لو ان القدور
 غلت بي وبك في الحق فقال له عمر لا تعجل يا بني فان الله ذم الخمر
 مرتين وحرمها في الثالثة وانني اخاف ان احمل الحق على الناس
 جملة فيدفعوه جملة وتكون من ذا فتنه

ويلحق بهذا ان يقصد الداعي الى امر فيه مشقة فيورد
 امامه شهيدا يخفف وقع ويهون كلفته على النفوس ومثال هذا
 ما سلكه القرآن في التكليف بفريضة الصيام حيث شرعه اولا
 مبهما فقال (يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام) ثم اشعرهم
 بقلته ايامه في الحساب فقال تعالى (اياما معدودات) ثم فرضه على
 وجه التعيين فقال (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن) الخ الآية

وكذلك صنع عند الترغيب في الصبر على لاذى ومقابلة لاساءة
بالغزو على وجه الكرم حين كان صعب المركب شديد الاثر على
الطباع فامر بالعدل في المقاصة وعدم الزيادة على المثل بقوله تعالى
(وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) ثم بين في قوله تعالى (ولئن
صبرتم لهو خير للصابرين) ان الاكمل لهم الانضاء عن جزاء السيئة
وتترك المواخذة بها فان فضل التحمل من مآثر الحلم ومظاهر الرحمة
وهما افضل واحب من القسوة والمبادرة الى الانتقام ثم قال تعالى
(واصبر وما صبرك إلا بالله) فصرح بالترغيب فيه على اسلوب ابلغ
ووجه الامر به الى رسوله صلى الله عليه وسلم الذي هو اقوى على
التخلق بالفضائل واسرع همة الى القيام بالتكاليف ليجد الناس من
متابعيه والناسى بسيرته سهولة في الطاعة ونشاطا لمكارم الاخلاق
وليستيقنوا من اسناده الى اكمل الخليفة ان الصفح مع القدرة ضرب من
الشمائل البالغة الى الغاية القصوى في الكمال

وقريب من هذا ان ياخذ في تقرير المصالح بوجه عام حتى
يانسوا لها وتبذر في قلوبهم العلم بطرق الخير على سبيل الاجمال
ثم يندبهم الى آحاد الاعمال المندرجة في ضمنها بيان وتفصيل فان
الغالب على طبائع البشر التسليم بالقضايا الكلية وتقل منهم المنازعة
في صحتها واعظم ما يقع منهم لانكار واختلاف في المسائل الجزئية
واحكام النوازل المعينة وعلى هذا النمط ادار الاسلام سياسته فاسس
معظم قواعده العامة في بداية الرحي بمكة وشرع اكثرا لاحكام
الفرعية بالمدينة المنورة

ومن حسن السياسة ان لا يجهز برايه الصريح في صدر مقاله

ويبتدي بما يخفف على المخاطبين سماعه من المعاني القريبة من الغرض ثم يعبر عن المراد بلفظ مجمل وياخذ في القرب من ايضاح شيئا فشيئا حتى تستانس به افكارهم وتهدا له خواطرهم اذا افصح عنه ، وعلى هذه الطريقة جرى الرجل المؤمن من آل فرعون فبعد ان كان يكتنم ايمانه وهو يحب ان يظهره ويدعو قومه الى مثله وكان يخشى من التصريح بعقيدته بادرة غضبهم او انتقامهم منه اغتم وقت اجمعهم على قتل موسى عليه السلام فرصة وطفق ينكر عليهم في ذلك وتخلص الى ان دعاهم الى الايمان بما ارسل به دعوة ظاهرة قال تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) فانهم بالانكار على قتله وجولا يدل على انه مصدق برسالة اذ قد ينهي العاقل عن سفك دم الرجل او اضطهاده وهو من ابغض الناس اليه حذرا مما ينشأ عن الاعتداء عليه من الفساد ودل بقوله (ان يقول ربي الله) على ما بعث به من عقيدة التوحيد واوما الى انه لم يجئ شيئا فكرا يستحق به هذه العقوبة الصارمة وذكرهم بقوله (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) في المعجزات القائمة على صدقه في دعوى الرسالة وليس في هذه المقالة دعوة صريحة الى تصديقه والطاعة اليه او اعتراف واضح باسلامه له ودخوله في جملة انصاره لا سيما حين عزل نفسه عن جاءهم البينات وازاف مجيئها اليهم خاصة ثم استرسل في موعظته الحسنة سالكا طريق التوجيه وابرار الارهاب في صورة الاحتمال ثم التعريض بفساد نحلتهم الى ان صدع لهم ببطلان معتقدهم ودعاهم

الى دين الحق بالقول الصريح قال تعالى فيما يقصده عنه (ويا قوم
ما لي ادعوك الى النجاة وقد دعونني الى النار قد دعونني لا كفر بالله
واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار)
قد يسكت المرشد عن بعض ما يكون حقا او يطلق عليه عبارة
مجملة او ذات وجهتين اذا لم يساعد الاحمال على ان يصدع به
في اوائل الدعوة وهل يسوغ له ان يصرح باقوال ليست من قبيل
الحق بقصد ان يتالف بها اصحاب العادات والمذاهب الزائفة
ويستدرجهم الى ما يورده بعدها او يدمجه في اثنائها من الحقائق
والدلائل الفاضحة لمعتقداتهم واوهامهم ؟ زعم الرازي صحة هذا
المسلك فعده من حكمة المشابه في التنزيل وفهم على ذلك ما
جاء في القرآن من قول ابراهيم عليه السلام حين حاج قومه بالنجم
والقمر والشمس (هذا ربي) وقد ذكر المحققون المشابهة حكما
اظهر كما فهموا قول ابراهيم عليه السلام على غير هذا التاويل ، ويحسن
بالداعي ان يتخير من الالفاظ السائغة والتراكيب المحكمة ما تقبله
الاذواق وتقرشحه الاسماع بسهولة فلرواق العبارة وجودة التصرف
في الاسلوب تائبور زائد على ما تفعله قوة الكجعة وصراحة المطالب
ويزيد المقال او الخطبة حسنا ان تكون من انشائه ومنعته
تاليفه فان الجمل التي ينزع القائل معاندا بنفسه ويسبك عباراتها
بطبعه تكون ابلغ تأثيرا في نفوس السامعين واجلب لداعيهم
حيث تصدر عن احساس واردة قوية ، ويهـ كنك ان تعرف
مقدار احساسه وقوة ارادته مما تشاهده في ظاهره باذنه من غضب
وتبسم ورفع صوت وخفضه وتبوسة جبين وطلاقة الى غير ذلك

من الآثار التي لا تشاهدها على ظاهر الناقل أو المترجم لكلام غيره
ومن الطرق النافعة ان يسبق المصلح الى العمل بما يامر فان
اقتداءهم بافعال المرشد اشد من طاعتهم لاقواله ، واعتمد في هذا
على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في شرع الاحكام فكثيرا ما
كان يصرح بالاذن في اشياء فلا يبادرون الى فعلها ويستمترون على
الانكفاف عنها حتى يقررها بالعمل ثانيا كما امرهم وهم على سفر
بالافطار في رمضان وبقي صائما فلم يقطعوا صومهم حتى عمد الى
الفطر فاتبعوه وقتلوا وافطروا ، واذن لهم في نكاح من كن ازواجا
لادعيانهم فكبر عليهم ان يخرقوا سياج هذه العادة حتى تزوج
صلى الله عليه وسلم بزينب بعد ان فارقها مولاه زيد بن حارثة
رضي الله عنه

ومن السنن المعهودة لاستلشاف المسرفين وجلب دواعيهم الى
مناهج الصلاح بسط المعروف في وجوههم واظهارهم بشي من متاع هذه
الحياة فلا جرم ان مواجعتهم بصنع الجميل ومصافحتهم ببراحة كريمة
مما يصرف قلوبهم نحو الداعي ويمهد له السبيل في قبول ما
يعرضه عليهم من النصيحة لان النفوس مطبوعة على الميل الى من
يلبسها نعمة وبقيض عليها خيرا ولهذا ذكر القرآن في مصارف الزكاة
جهة المولفة قلوبهم .

﴿ آثار السكوت عنها ﴾

ان سكوت القادرين على الارشاد وبقاء اخوان الباطل
يترددون على نوادي البدع والمنكرات علة تقتضي الى انتشارها
وسريان وبائها الى غالب الافراد فينزع عنهم الله لباس نعمه

ويخرجهم عن مصب رحمته الى مواقع المصائب في الدنيا زيادة
 عما يطوقونه من العذاب الهون في دار الجزاء قال تعالى (واذا اردنا ان
 نهلك قرية امرنا مترفيا ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)
 واذا انتشرت المحدثات والفواحش وانفتحت من جهة شومها
 ابواب الباس والضراء دخل في مصابها المجرمون والساكنون قال
 تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) فلا يظن
 الذين يعملون الصالحات في انفسهم ان اقبالهم على شانهم ودخولهم
 في زوايا العزلة عن ارشاد الصالحين يجعلهم في منعة ومنجاة من
 سوء المنقلب الذي ينقلب اليه الفاسقون فالذي جرت به سنة
 الله في خلقه ان وباء الكذب اذا دخل في ارض وظهر في اكثر
 نواحيها لا تنزل عقوبة بديار الظالمين خاصة بل تتجاوزها الى
 قريب منها وتومي بشور يلفح وجوه جيوانهم الذين تخلوا عن
 نصيحتهم واطرقوا رءوسهم عن مناكرهم ابتغاء مرضاتهم او استراحة
 من عناء التعليم او التذكير

ويصح ان يراد بغير الظالمين الذين تلحقهم الفتنة من لم
 يلبسوا ايمانهم بفسق ولو بنحو ترك الامر او النهي فانك تجد فيما
 تطالع من انباء لأمم الماضية ان لامة التي يجوس خلالها الظلم
 والفساد حتى يلج حبه في قلوب رسلها تنزل عن عرش عزها الى
 مهاوي الذلة والاضطهاد او تسلب نعمة وجودها بقارعة سماوية وما
 كان من جنس هاتين العقوبتين في الدنيا قد يتناول لافراد الذين
 بذلوا جهدهم في نصيحة قومهم فرفضوها من اسماعهم وشدوا قلوبهم
 عن الاصغاء اليها كما يتناول الصبيان ومن لا قدرة له على الجهر

بالنصيحة على وجه القضاء السابق روى في الصحيح عن زينب بنت جحش قالت قلت يا رسول الله انهلك وفينا الصاكون قال نعم اذا كثروا كذبوا . وعن ابن عمر انه سمع اباہ يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل الله بقوم عذابا اصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على اعمالهم .

ومن البلية في سكوت العلماء ان العامة يتخذونه حجة يستندون اليها في ابحاث الاشياء او استحسانها فاذا كشفت لهم عن بدعة واوضحت لهم الدليل على قبحها كان جوابهم انهم فعلوها بمراي او مسمع من الشيخ فلان ولم يعترض فعلهم بانكار ، ولو تلوت عليهم آية او رويت لهم حديثا او ابلغتهم نصا عن الامام الذي يحق تقليده لاجابوك بان فلان ذو معرفة واسعة فلا تفوته لاحاطة بما نقلت ، وما سكت او استحسن إلا لتاويل ظاهر او دليل راجح ومن اثر التهاون بالارشاد ان يتمادي المفسدون على عمل سوء والمنكر الى ان يالفوا ناذيها وتتخذ احساناتهم بالادمان عليها فلا يكادون يشعرون بشاعة مذاقها وسوء عاقبتها حتى اذا تعرض لهم الحق بوجهه الواضح واستقبلهم بصورته الجميلة جفلت عنه طباعهم ولفظته اذواقهم لاول نظرة كما ينفر ذو البصيرة المنسورة من سواد الباطل

الاذن في السكوت عنها ﴿

انما يسقط عن المكلف فريضة النصح والتصريح بماحق في موضعين احدهما ان ينشأ عن امره او نهيه مفسدة اعظم ، عملا بقاعدة ارتكاب اخف الضررين اذا تعارضا ومن شواهد ان النبي

صلى الله عليه وسلم كره من الصحابة نهيمهم الا عرابي حين بال في
 المسجد وقال لهم (انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين) فالبول
 في المسجد فساد ظاهر وفي قطعه عن البائل مفسدة اكبر منه ،
 ويمائل هذا ان يكون صاحب الضلالة ممن يطغى على قول
 الداعي ويستنكف ان يكون طائعا له فياخذه لاعجاب بقوة
 الى ارتكاب جهالة افزع من الاولى ليغيظ الامر ويتظاهر بالغلو
 في مخالفتهم

ولا نعد في هذا القبيل ان تجري عادة العامة بترك سنة او
 فعل بدعة فنسكت عن صنيعهم او نتمحل في تاويله والفتوى
 بصحته حذرا من اضطراب افكارهم ووقوعهم في حيرة من امرهم
 فلا مزية ان التحير في الراي خير من الاصرار على ضلالة لانه
 محرك الى البحث واقرب وسيلة الى العلم

ولا تكون المخافة من سوء فهم المخاطب ووقوعه في شبهة
 عذرا لكم ما فرض الله معرفته لانه يلائم كل العقول المتساهلة
 للتكليف وانما يقوم معذرة للسكوت من الحق الذي لم يكلف
 الناس بعلمه وهو المراد بقول علي بن ابي طالب رضي الله عنه
 (حدثوا الناس بما يفهمون اتحبون ان يكذب الله ورسوله)
 ومثال هذا حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي صلى
 الله عليه وسلم (يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم بكفر) وفي
 رواية بجاهلية (لنقصت الكعبة فجعلت لها بابين باب يدخل
 الناس و باب يخرجون) والذي تحاماه صلى الله عليه وسلم ان
 يظنوا لقرب عهدهم بالاسلام انه غير بناءها لينفرد بالفخر منهم

✓ (ثانيها) ان يجزه الى مكيدة ويلحق به ضررا وعدد الامام
 الغزالي من ذلك الاستخفاف به على وجه يقدر في مرويته
 وراى الشيخ ابن عرفة ان خوف العزل من الخطة لا يعد عذرا
 يبيح لصاحبه ترك النهي عن المنكر . لان مدد الرق غير مقصور
 على وظيفتها ، ولذة السلطة واجبا لا تدخل في الاغراض الشريفة
 لذاتها او الغايات التي تنظر اليها شريعة الاسلام نظر الراجح في
 حصولها وظاهر ان هذه الفتوى تفهم على حال ما اذا رجي نجاح
 موعظته ولم يقو في ظنه ان تذهب مقالته ضائعة

فاذا اعتقد الداعي الى الخير بما يحقق به من المكر والبلاء
 من اجله فهو في سعة واختيار من تحمل لازى او طلب السلامة
 فان شاء اخذ بالعزيمة ورفع صوته بالترغيب او التهيب وان
 شاء تمسك بالرخصة واعرض عن الجاهلين

وقد استحسب جماعة من السلف لقوة غيرتهم على العدالة
 ورغبتهم في الصالحات ان يخذلوا بالعزم ويحافظوا على الجهر
 بالارشاد وان كره المفسدون جهرهم واذاقوهم عذابا اليما وقصصهم في
 هذا الشأن كثيرة لا يضبطها سفر ولا تدخل تحت حساب ، واما
 قول ابي هريرة رضي الله عنه (حفظت عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وعاءين (نوعين من العلم) فاما احدهما فبثته لكم واما
 الآخر فلو بثته لقطع هذا البلعوم) فمراده بالوعاء الذي كتمه
 مثل اخبار امراء الجور وبيان اسمائهم واحوالهم ولو كان هذا الوعاء
 من قبيل ما اوجب الله معرفته من احكام وعقائد لم يسع مثله
 إلا بيبانه

﴿ اسباب اهمالها ﴾

ما بال الرجل يعرف مناصح الصلاح ويبصر فريقا من قومه
ينهافون على عمالية ويهيئون في جهالة ولا تستغفروا الهمة الى
افاقهم من سكرتهم واراءتهم معالم فوزهم ؟ اذا اخذنا فنظر في الامر
الذي يحبس عنانه في ذلك نجده دائرا على اسباب عشرة

احدها المداهنة تحمله على ان يرى المفسدين الذين لا
يحبون الناصحين فيغض طرفه عن حالهم سعيا في مرضاتهم وحرصا
على نيل مكانة او اصابة غنيمة ، ومن البلية ان المبطلين اليوم
لا يكتفون ممن ايجائهم الحاجة او دفعته الصدقة الى قواديتهم ان
يسكت عن مفاسدهم ويتروكهم وشانهم وانما يقنعهم ان يساعدوا
ليضربوا له بسهم من عملهم او يرمقهم بعين مكحولة بتبسم الاستحسان
وهو اقل درجة يستحق بها في نظروهم لقب كيس ظريف

ثانيها ضعف جاشد وقلة صبره على المكاره فيخشى ان لا يرتضي
بعض الناس قوله فيضمروا له البغضاء ويصرخوا عليه بكلم السخرية
وكم سقط في اثارهم من نصيحة . وقد يستفيد البغضة المنتصح
وتعرض الكتاب العزيز لطبيعة الاستهزاء بالمرشدين ونبه على انها
عادة مألوفة واذا يعترض في طريق كل مناد الى صلاح قال تعالى
(ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين ما ياتيهم من رسول الا كانوا
به يستهزءون) فاذا لقي الرسل عليهم السلام على شرف منازلهم
ورفعة مقاماتهم من سفهاء قومهم لازية فاععضوا عنها وجعلوها تحت
اقدامهم فلا يسمع غيرهم ممن يريد الخير لامتته الا ان ينصح لهم ولا

يبالي بدم ينفض اليه راسه او يرجمه بظنون سيئة قال تعالى فيما قصه من موعظة لقمان عليه السلام يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور فقله (واصبر على ما اصابك) بعد قوله (وامر بالمعروف وانه عن المنكر) ايماء الى ان صفة المصلح ان يكون فسيح الصدر واسع الجاد ليهلك بواد غضبه ويتمكن من كظم غيظه فان موقفه قريب من لا ذى ومرمى لشتائم اهل السفاهة فاذا سمع كلمة سوء ولم يضرب عنها صفحا وقع في كجاج ومراء يقطعه عن الوصول الى المرام ويختلس له قطعة من وقته الثمين

ثالثها خلق الشفقة يطغى في فواده ويتعدى حد الفضيلة فيطغى من حبه لعمل البر ويورده عن الامر بمصالح فيه كلفة على المأمور ويؤخذ النهي عن هذه الخليفة من قوله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رافة في دين الله) فافهمتم الآية ان المعتمد عليه في اجراء نظامات الشرع وحدوده انما هو حفظ المصالح واستيفاء الحقوق ولا عبثة بداعي الرافة اذا راغ بصاحبه عن الطريقة المعتدلة . اخرج ابن جرير في تاريخه عن سالم ان عمر بن الخطاب كان اذا صعد المنبر فنهى الناس عن شي جمع اهلهم فقال اني نهيت الناس عن كذا وكذا وان الناس ينظرون اليكم ينظر الطير واقسم بالله لا اجد احدا منكم فعله الا اضعفت عليه العقوبة لمكانه مني

رابعها العداوة بينه وبين الجاهل تقدر في ضميره فتمسك لسانه عن نصيحته وانذاره ليتبادى في بدعة وعمل يهوي به في

خسران ، ولم يدر هذا البائس انه اردى بنفسه في هاوية من النار
حيث لو ان ذمته بوزيلة الغش واهمل ما اوجبه الدين من النصيحة
خامسها ان يكون المستوجب لامر الداعي او نهيه مثل اب
مطاع او معلم محترم فيصده احياء منه والاحترام لمقامه ان يشافهه
بالموعظة المشعرة بنسبته الى الجهل او الخطا ، وفيما قصه الله علينا
من موعظة ابراهيم عليه السلام لا زلزل وتسميته ابا ما يرشدنا الى ان
لا بؤة لا تمنع من الارشاد ولكن يستحق كلاب من ادب الخطاب
ولطف الموعظة اكثر ما ينبغي لغيره ، وفي نبا موسى والكضر عليهما
السلام واتباع الاول للشاني بصفة متعلم ثم انكاره عليه خرق
السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار عبرة للمعلمين واذن لهم بان لا
يتخرجوا من خطاب متعلمهم في امر بمعروف او ازالة منكر
سادسها الكشمية من ان يخالط نيته رياء فيذهب بسعيه عبثا
من جهة ثواب الله في الآخرة ، وليس على العاقل سوى ان يجاهد
نفسه ويدافعها عن النوايا الفاسدة بما في طوقه ولا يترك الدعوة
خصوصا عند ما تتعين عليه او يكون صوت غيرة اقصر مدى
واقل تاثيرا

سابعها الورع يتغالى به الى ان يتحاشى عن السعي الى محل
قول الحق حذرا من الدخول في نادي المنكرات ولاقتزان باهل
الباطل في مجالسهم حكى القاضي في كتاب المدارك ان عضد
الدولة فنا خسروا والديلمي بعث الى ابي بكر بن مجاهد والقاضي
ابن الطيب ليحضروا مجلسه لمناظرة المعتزلة فلما وصل كتابه
اليهما قال الشيخ ابن مجاهد وبعض اصحابه هؤلاء قوم فسقوا

لان الديلم كانوا روافض لا يحل لنا ان نطأ بساطهم وليس غرض
 الملك من هذا الا ان يقال ان مجلسه يشتمل على اصحاب المحابر
 كلهم ولو كان خالصا لنهضت قال القاضي ابن الطيب فقلت لهم
 كذا قال المحاسبي وفلان ومن عاصروهم ان المأمون فاسق لا يحضر
 مجلسه حتى ساق احمد بن حنبل الى طرسوس وجري عليه ما
 عرف ولو ناظروه لكفوه عن هذا الامر وتبين لهم ما هم عليه بالحجة
 وانت ايضا ايها الشيخ سلكت سبيلهم حتى يجري على الفقهاء
 ما جرى على احمد ويقولوا بخلق القرآن ونفي الروية وهذا انا
 خارج ان لم تخرج فقال ابن مجاهد اذا شرح الله صدرك لهذا
 فاسخرج

فانها ان لا يجد مساعدا ممن فيهم الكفاءة لهذا السبيل بان
 يذروه فريدا ويلووا رءوسهم عن معاضدته وربما ادخلوا في قلبه
 الياس وسدوا باب الامل في وجهه بدعوى فساد الزمان وعدم
 افادة النصيحة عند غلبة الفساد وقد تاخذ المنافسة بعض معاصريه
 وتحملهم على السعاية به لدى صاحب الدولة ليعيت اسمه
 ويقطع اثره او يتربصون به حتى ينطق بما لا تعرفه العامة
 ليكبروا خطيئته لديهم ويستنجدوا بهم على اضطهاد جانبهم واطفاء
 سمته كما سلكوا مع الشيخ ابي الوليد الباجي انتظروا الى ان
 اجاز في درسه كحديث صلح الحديبية من البخاري الكتابة على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاموا امامه وقذفوه بالكفر واللغة
 وتبرؤا منه في اشعارهم حتى قال عبد الله بن هند
 برئت ممن شري دنيا بأخرة وقال ان رسول الله قد كتبنا

تأسرها ان بعض الرؤساء كانوا يزهدون في شيمته العدل ولا
 ينتزهون عن المساوي فيوجسون البغضاء لمن يتظاهر بالارشاد
 خيفة ان يتعرض لسيرتهم او يتناول الى البحث في سياستهم روى
 ان ابا عطاء السندي دخل على امير وقت يومما فقال له حدثنا
 فقال يا امير المؤمنين ان سلطانكم حديث وامارتكم جديدة فاذا يقوا
 الناس حلاوة عدلكم وجنبوهم مرارة الجور فوالله يا امير المؤمنين لقد
 محضت لك النصيحة ثم نهض فقال لا امير لا يعز ملك فيه مثل
 هذا ثم ارسل من ورائه من قبله وحمل اليه راسه

وصنيع مثل هذا يورث الكثر ويرخي المفاصل عن قول
 المعروف ولا يبيح للعارف بالكثير ان يخلد الى صف الجاهلين
 بمسالكه ويسكت عنه البتة * وليس له سوى التجنب من الكلام
 في احوال الرؤساء ومسائلهم الخاصة حيث اعتقد بان خوصه فيها
 يسرع اليه بمضرة ولا يامن معه من الوقوع في اسر عقوبة * ولا رخصة
 له في الصمت عن التذكير جميلة إلا اذا بلغوا غاية التحجير على
 دعاة الخير والتعقب بالوعيد لكل من ينطق بالحكمة والموعظة ولو
 لم يتعلق بسياستهم ولعلك لا تجد فيما تطالع من انباء الدول من
 بلغت في استبدادها وقبضها باعنة المرشدين الى هذه الدرجة اذ
 لا يجهل صاحب رئاسة وان اوغل في حب مصالحة الشخصية
 ان بث الفضيلة ونشر الاداب والحكمة في نفوس المرووسين له
 مما يدعوهم الى الكلفة وحسن المرافقة في انفسهم او مع من يعاشرهم
 بمعروف ثم ان بسط ولايته ورفع رايته على قوم ذوي معارف

واداب اشرف لمقامه واعلى لسمعته من وضع يده على رءوسهم وهم

بمكان لانعام في التوحش والجهل بالحقوق

عاشرها ان يجد الداعي في عرضه سيئة فتلقى في صدره

الذلة والرجبة من ان يلزمه بها العارفون بنبيها اذا ما تلا عليهم

الموظة واستلفتهم الى صالح اصاعوه والعادة ان من ينعت برذيلة

او تجميع به شوائبه الى معصية اذا وقف على نوادي اهل الفساد

في ثوب مرشد انشدوه

ياايها الرجل المعلم غيره حلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا

كيما يصح به وانت سقيم

ابدا بنفسك فانها عن غيرها فاذا انتهت عنه فانت حكيم

فينبغي للعالم ان يقبل على نفسه اولاً فيطهر ساحتها ويكمل

نقصها حتى لا يكون الخلل في سيرته كالشجا يقف له في لهاته

ويمتنع من هداية المسرفين

ويتضح من هذا البيان والتفصيل خطأ المتوهمين ان العلة

الوحيدة في تهاون العلماء بامر الارشاد ما سبق لهم في معاملة بعض

الروساء من القساوة والاستبداد

﴿ ما يدعى الى اصلاح ﴾

مما لا تنازع فيه الظنون ان الاعمال الظاهرة تصدر على

حسب ما يريده العامل وتقدره نفسه في انجازها وهياة وضعها ،

وللعقائد سلطان على النفوس ومدخل في تصريف ارادتها كالاقتاد

بالاله يمنع للانسان ان ياتي في حال الغيبة ما لو ابرزه لاستحق
عليه ذما او ملاما والتعديق باليوم الآخر يطبعه على صنع الكميل
ولا يثار بالبر بدون انتظار جزاء او شكور في هذه الحياة فاذا زادت
العقائد كانت اعمال صاحبها بمنزلة من يرمي بسهامه عن قوس
غير مستقيمة

واذا كان في الانايب حيف وقع الطيش في صدور الصعاد
فوجب على الداعي العناية بما يمحوا اثر الاوهام والمزاعم
السخيفة ويوحد على قلوب الناس بالاعتقاد الصحيح
والطباع الراسخة اثر في استقامة الاعمال او اختلال اوضاعها
كسجية الكرم تنهض بالامة الى انشاء الجمعيات العلمية وتفتح
ايديهم بالمساعدة على المشروعات الخيرية ومثل المسلم يعتقد
بفريضة الزكاة وما يناله في تركها من العقاب ثم يقبض يده عن
اعطائها مطاوعة لداعية الشح واثيرا للمنفعة العاجلة ، واذا كانت
السجايا مبدا لكثير من الاعمال ومساعدة على صدورها بسهولة
دخل في وظيفة المرشد الدعوة الى نبذ الاخلاق السافلة والتحلي
بالاخلاق الشريفة

واصلاح الاخلاق بالمقالات العامة نافع ، واقرب الوسائل في
تربيتها ان يركبها المصلح في طبيعة كل شخص بعينه فكثير من
الناس يتعلم الاخلاق الحميدة ولا يشعر بانه عري عن التخلق بها
وقد يتصور معنى التخلق الحسن وضده متمايزين ويلتبس عليه
الفرق بين افرادهما في الواقع
وفي الناس من عد التواضع ذلة وعد اعتزاز النفس من جهلهم كبرا

وكان صلى الله عليه وسلم يرشد الى مكارم الاخلاق بالحكمة العامة ثم يتولى تربية كل فرد من المومنين بخصوصه فكثيرا ما نرى في الاحاديث الواردة في حسن الخلق ما يصرف الخطاب به الى خاص ويسند فيه الطلب الى معين كقوله لمعاذ بن جبل (احسن خلقك للناس) وقوله بجارية بن قدامة (لا تغضب)

ثم ان العمل لا يكون حسنا في نفسه إلا باستقامة ظاهرة وعدم خروجه عن رسوم الحكمة الدينية فكان من صفة المرشد الاعتبار فيما يصدر من الاعمال من حيث انطباقها على اوضاع الشريعة اذ لا سبيل الى صلاحها غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة اصحابه الراشدين

ولما افتقرت الامة في حفظ بقائها وصلاح عيشها الى جملة من الوسائل كالصنائع وبعض الفنون الحكيمة كانت داخلية في واجبات دينها كما صرح بذلك ابواسحاق الشاطبي وغيره من الراسخين في علوم الشريعة فان عظم مصلحتها وانظر الذي ينشأ عن اضافتها واضح في الدلالة على وجوب التعلق باسبابها ولكن الاسلام لم يفتح عين المكلف في كل موضع من مواضع اصلاحها او اعطى لتفاصيلها قواعد كما فعل في قسم العبادات والمعاملات والجنايات وانما ارشد الى اصول مطالبها ثم فوض في وجوه عملها ومعرفة ما هو الاصلح في وسائلها الى الفطر السليمة والعقول الراجحة كما قال صلى الله عليه وسلم في واقعة تبير النخل (انتم اعلم بامور دنياكم) فان التمييز فيها بين الحسن والقبيح من المطالب التي لا تفوت مداركهم ويسعها طوق عقولهم

وقد يسبق غير العارف بالشوائب الى الخبرة ببعض نظامات
مدنية ولهذا لم يصع الاسلام حرجا على اخوانه اذا حاكوا غير
المسلمين وعملوا على مثالهم فيما يحسن في نظرهم من مقتضيات
المدنية وتواتيها كالصنائع والفلاحة والتجارة وحفظ الصحة وما
شاكلها فان اعراضنا عن اخذ ما بايد المخالفين من المعارف
والاستنباطات المفيدة في هذه الحياة يفضي بنا كما قال ابو حامد
الغزالي الى ان نصوب عن كل صالح سبقونا اليه

ويتعين على الموشد لاصلاح هذا القسم ان يجيد البحث عن
احوال الامم لاخرى ويعرف اسباب ارتقائهم وعلل سقوطهم
يستعين بها في صوب الامثلة وتركيب لاقيسة ويؤيد بها الافكار
المستقيمة ويثبت بها صواب ما تهديه اليه البصيرة الكاملة

انتهى هذا التأليف الموجز بتحرير الفقير الى ربه محمد انصاري
امين الحسين وسلام على المسلمين واحمد الله رب العالمين

(13)

THE HISTORY OF THE

REIGN OF

CHARLES THE FIRST

BY JOHN BURNET

OF LINCOLN

IN TWO VOLUMES

VOLUME I

THE FIRST PART

OF THE

REIGN

OF

CHARLES

THE FIRST

IN TWO VOLUMES

VOLUME I

THE FIRST PART

OF THE

REIGN

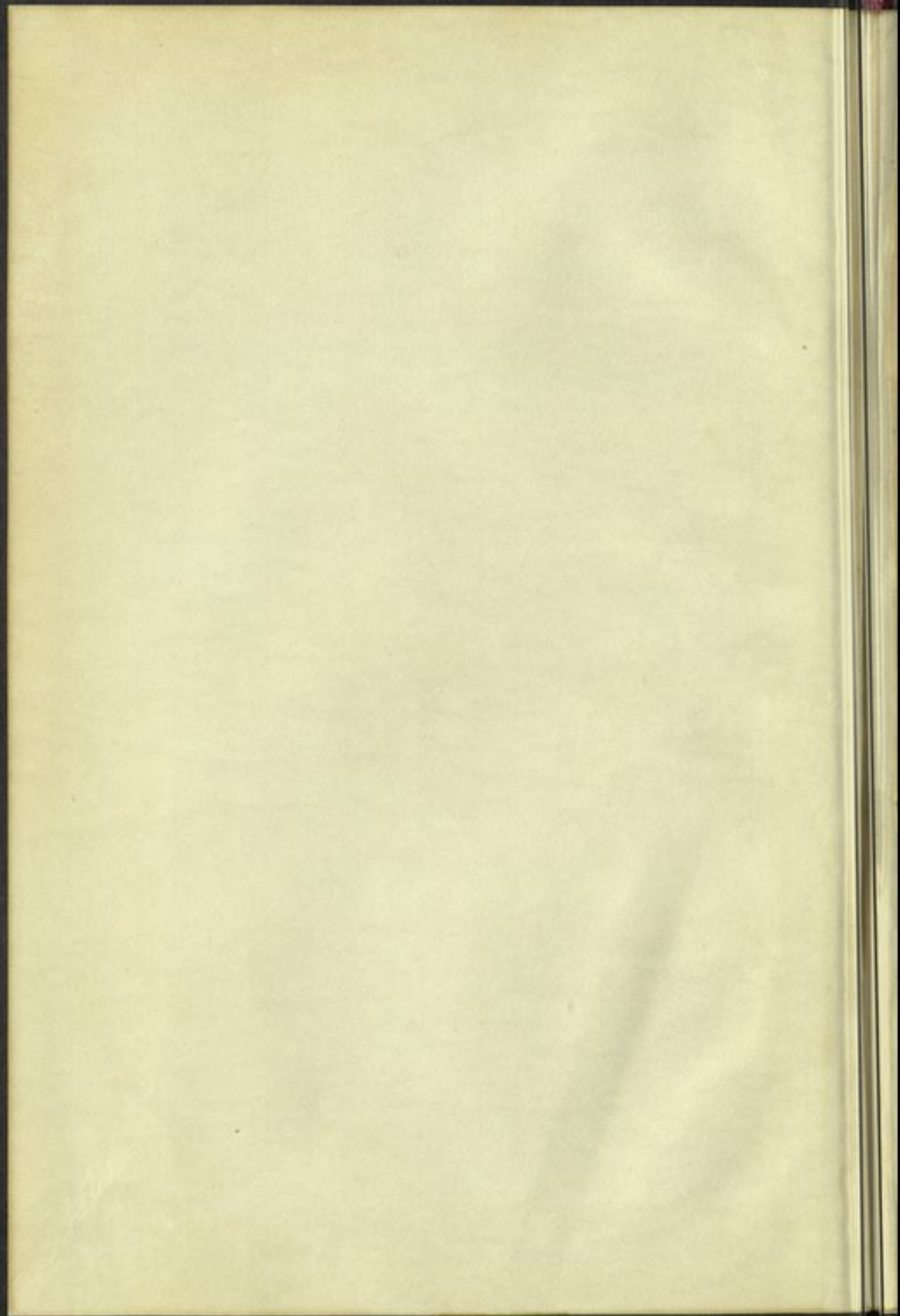
OF

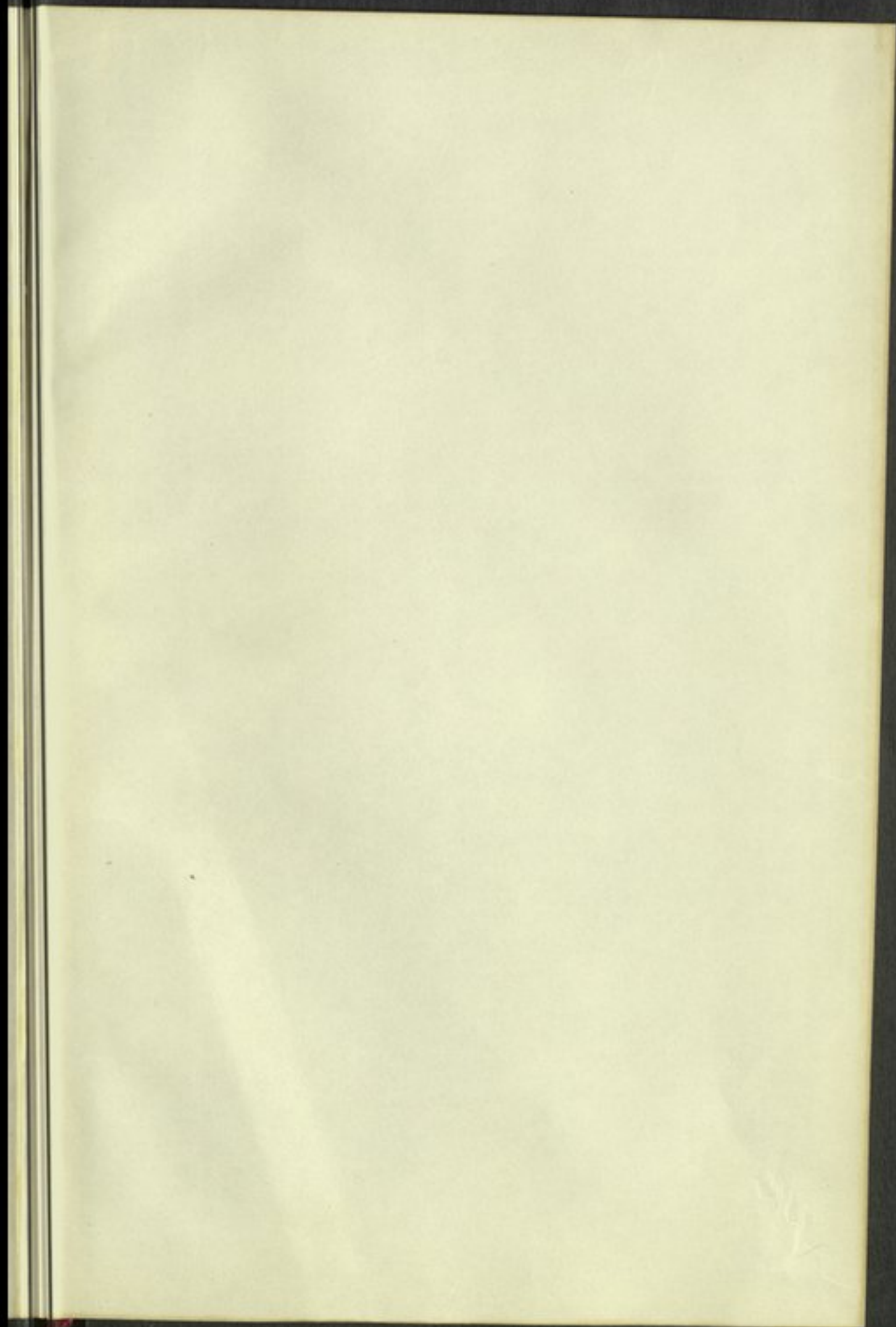
CHARLES

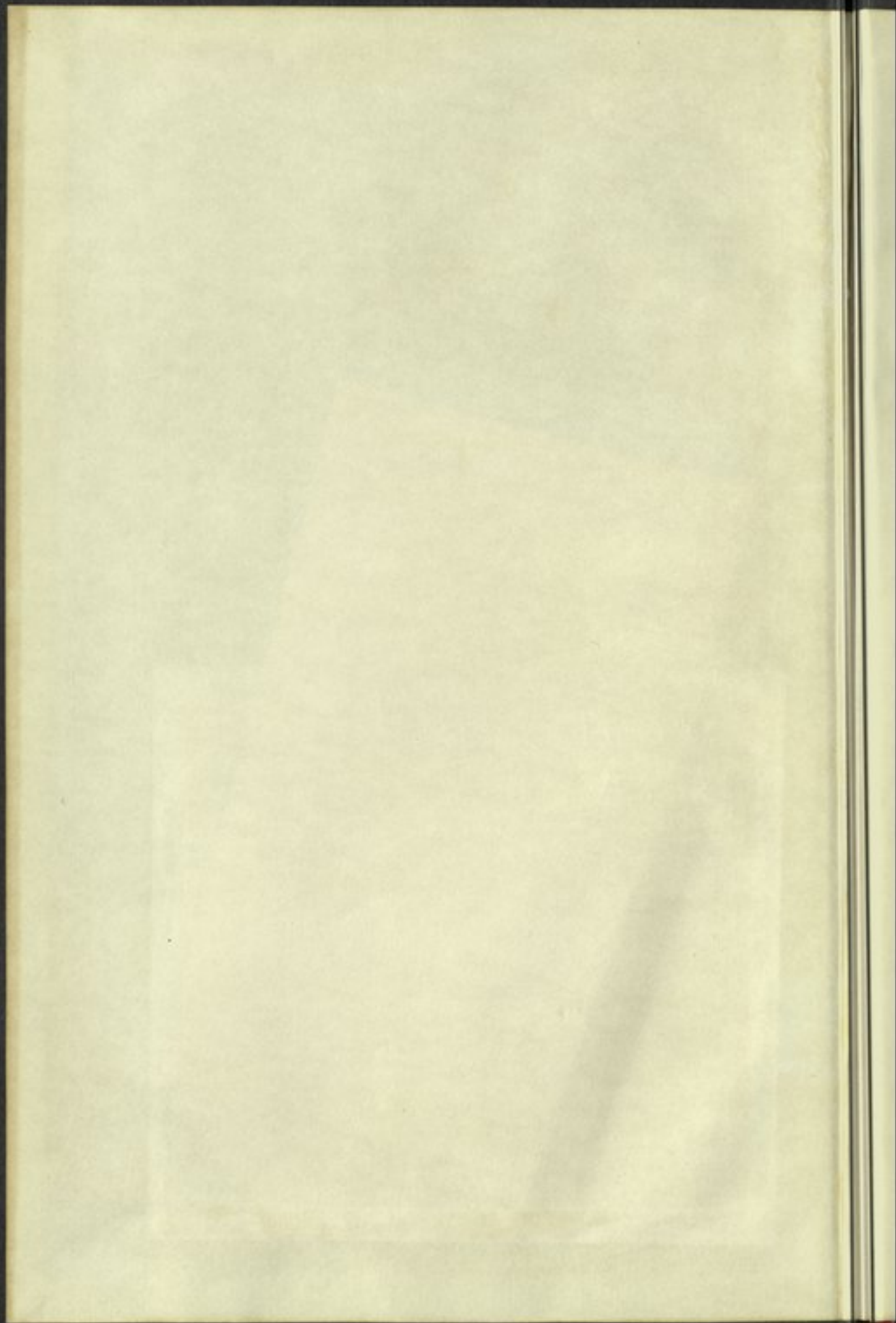
THE FIRST

IN TWO VOLUMES

VOLUME I







بن الحسين .

الدعوة الى الاصلاح .

108

297.41

B6/A

108

بن الحسين، محمد الخضر
الدعوة إلى الإصلاح

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01008905

297.41
B61 dA